# جزيرة العرب اليوم(*)

## جون فيلبي

**ترجمة : د. سعود بن دخيل الرحيلي**
كلية اللغات والترجمة - جامعة الملك سعود

مضت عشرون سنة بالتمام منذ أن قدمتُ إلى جزيرة العرب لأول مرة، جاهلاً تماماً الشؤون العربية، وصاحبت علاقتي الطويلة بتلك البلاد تلك السلسلة من الأحداث التي أخذت تُشَكِّل في ذلك الحين تاريخ الجزيرة العربية. ومنذ ذلك الوقت أيضاً بدأت الحكومة البريطانية تعي أن هناك بلاداً تسمى جزيرة العرب، وأعتقد أن الفضل في الوعي بهذه الحقيقة ينبغي أن يعود إلى اللورد كتشنر وملازمه العسكري الوحيد السير رونالد ستورز، كما يعود إلى بريطانيين آخرين في مصر شهدوا إمكانية انضمام البلاد العربية إلى قضية الحلفاء، هذا على أن تتم مقاربة الموضوع بالطريقة المناسبة.

كان هدف اللورد كتشنر والحكومة البريطانية هو وضع حد لتلك الدعاية التي تداولها الأتراك وحلفاؤهم الألمان، وهي أن بريطانيا وحلفاءها كانوا يعملون على محاربة الإسلام. وهذا لفت بالطبع الأنظار إلى جزيرة العرب التي هي معقل الإسلام.

---

(*) تقرير مختصر للمحاضرة التي ألقيت في تشاتهام هاوس في ٢٠ يونيه ١٩٣٥م، ورأس الجلسة السير بيرسي كوكس.

H. St. John Philby. "Arabia Today". International Affairs (1935) PP. 619-631.

راجع الترجمة وعلق عليها الدكتور فهد بن عبدالله السماري.

إنه لأمر مؤسف - ولكن لا مفر من الاعتراف به - لعدم معرفتنا إلا القليل جداً عن جزيرة العرب في عام ١٩١٤م (١٣٣٢هـ)، وفي الهند حيث وضعت للعمل في ذلك الحين، كنا لانعرف حتى الاسم العربي للبلاد التي درجنا على تسميتها بلاد الرافدين. لقد كان جهلنا ذريعاً بكل تلك البلدان. غير أن هناك رجلاً واحداً كان يدرك أهمية الجزيرة العربية بوصفها جبهة خطيرة فيما يتعلق بالحرب. ذلك الرجل هو السير بيرسي كوكس الذي كان آنذاك ضابطاً عسكرياً رئيساً مع الجيش في بلاد الرافدين.

وكانت لديه العبقرية الكافية ليدرك أنه إذا استطاع أن يدخل حاكم الصحراء في الحلف مع بريطانيا وحلفائها، فإنهم قد يكتسحون الأتراك بأقل ما يمكن من الصعوبة. اتخذ السير بيرسي خطوة أولية في هذا الاتجاه، فأرسل الكابتن شكسبير، وقام بمحاولة الاتصال بحاكم الصحراء العربية لكي يبدأ تحركه للإطاحة بالأتراك الذين كانوا مهتمين أساساً بجبهة بلاد الرافدين، وانهيار تلك الجبهة قد يكون هو الذي عجل لسنوات عدة بخروج الأتراك من صفوف أعدائنا. والمؤسف أن الكابتن شكسبير قتل سنة ١٩١٥م (١٣٣٣هـ)⁽¹⁾، ولسبب ما قررت الحكومة البريطانية والسير بيرسي كوكس ألا يجازفوا بإرسال رجل آخر إلى داخل الصحراء.

وعلى هذا الأساس طوي الموضوع برمته حتى تناولته السلطات البريطانية في مصر مرة أخرى في علاقة ابن سعود بمكة وحاكمها آنذاك، والشريف حسين بن علي، أمير مكة.

---

(١) رفض الملك عبدالعزيز قبول طلب بريطانيا الدخول في حرب مع الأتراك من أجل مصلحة الحلفاء، وأكد على أن محاربته لابن رشيد وغيره هدفها إعادة توحيد البلاد. وكان مجيء شكسبير لمعركة جراب نتيجة لوصوله لمقابلة الملك عبدالعزيز الذي كان في تحركه نحو مواجهة ابن رشيد، فطلب مرافقته لمشاهدة المعركة، وحذره الملك عبدالعزيز من خطورة الوضع عليه إلا أنه أصر، وحدث أن قتل وهو يشاهد القتال، ولم يكن مشاركاً. (المعلق).

وقد أعلن الشريف حسين قبل عشرين سنة أنه على استعداد للتفاوض على شروط دخوله الحرب. وفي ذاك الوقت لم يكن أحد قد سمع بـ (لورنس)، عدا القليل من الناس الذين كانت لهم علاقة حميمة به؛ كعلماء الآثار، والأساتذة والكتَّاب ومن في حكمهم. وبما أن لورنس ميت الآن، فنحن نكاد نكون في وضع يتيح لنا تناول عمله باسترجاع تاريخي. من خلال السياسة التي يجب أن ينال لورنس شرفها أو اللوم عليها، وهي السياسة التي تبنتها الحكومة البريطانية بوحي منه إلى حد كبير، وظلت تلون سياسة حكومة جلالته منذ ذلك اليوم إلى اليوم. وآمل أن نكون في وضع يتيح لنا اليوم أن نحكم على ما تبقى من تلك السياسة.

كانت السنة الواقعة بين بداية المفاوضات مع الشريف حسين وشهر يونيه من سنة ١٩١٦م (شعبان ١٣٣٤هـ) مملوءة بالمفاوضات التي أجراها على الجانب البريطاني السير هنري مكماهون، الذي كان آنذاك المفوض البريطاني السامي في مصر. ومن المهم جداً فهم البنود التي عرضها السير هنري مكماهون في سلسلة الرسائل المتبادلة بينه وبين شريف مكة؛ إذ أرسيت فيها الشروط التي بموجبها أعلنت بريطانيا التزامها للعرب وللشريف حسين في كل الظروف، بشرط أن يكون الحلفاء في نهاية الحرب في وضع المنتصر حتى توضع تلك البنود موضع التنفيذ. كانت مكافأة العرب إذا كسبنا الحرب هي استقلال العرب ضمن مساحة محدودة، وهي المساحة التي جرى تحديدها بتفصيل دقيق، والتي تعطي للعرب كل جزيرة العرب بشواطئها، مع استثناء وحيد هو محمية عدن البريطانية، وتشمل المساحة أيضاً سوريا كلها وفلسطين. في تلك الأيام لم نكن نتحدث عن شرق الأردن، لأنه لم يكن موجوداً بصفته وحدة مستقلة؛ ولكن الحدود أرسيت بتفصيل كاف لترسيم المساحة التي جرى وعد العرب بأنها لهم إلى الأبد، بشرط أن يساعدونا على هزيمة الأتراك، ثم يقوموا بالخطوة اللازمة لهزيمة العدو المشترك.

قَبلَ الشريف حسين هذه الشروط التي جرى التفاوض عليها بجديَة، وعلى هذا الأساس رفع في العاشر من يونيه (٩ شعبان ١٣٣٤هـ) علم الثورة على الأتراك. وسرعان ما ظهر بعد هذا لورنس في الصورة، وكان عمله هو الذي أسهم إلى حد كبير في هزيمة الأتراك، وفي الاستيلاء على دمشق بعد ذلك، وبالتالي في تحقيق الشروط التي أرسيت لمنح العرب استقلالهم في المساحة المحددة.

غير أنه حينما كان لورنس والعرب منشغلين بهذه المهمة التي رموا فيها بكل ثقلهم دون أن يساورهم قلق فيما إذا كان هناك أي احتمال أن أحد طرفي الاتفاقية قد لا يفي بكلمته، كنا نحن ندخل في مفاوضات مع الفرنسيين والروس فيما يتعلق بالمجال نفسه، وتوصلنا إلى اتفاقية مع حلفائنا على اقتسام أجزاء معينة من المساحة التي سبق أن وعد العرب بها، وتوزيعها إلى ثلاثة أقسام: قسم للفرنسيين، وقسم للبريطانيين، وقسم ثالث للروس. وفي السنة التالية قلب الروس عربة الاتفاقية حين كشفوا للعالم في غمرة الحماس للثورة العمالية البلشفية، ترتيبات القوتين الإمبرياليتين. كان ذلك الكشف صدمة كبيرة للعرب، ولكن أُكد لهم بأنه ليس هناك ما يدعو إلى القلق، إذ ستكون الأمور على ما يرام إذا كنا في وضع نستطيع معه أن نضعها في مسارها الصحيح.

وفي السنة ذاتها صدر الوعد الشهير باسم بلفور (وعد بلفور) الذي انتزع جزءاً آخر من هذه الأقاليم هو فلسطين. أحدث هذا مرة أخرى خيبة أمل كبيرة لدى العرب. وتذكرون أن الملك حسيناً قد طلب تفسيرا، متسائلاً لماذا حصل هذا، وأكد له مرة أخرى أن كل شيء سيكون على ما يرام في النهاية، وما هو مهم الآن هو أن نمضي معاً لهزيمة العدو المشترك، وهكذا مضى العرب بالفعل، وهزموا الأتراك، وفي النهاية طرح الأمر برمته للبحث على طاولة مؤتمر باريس للسلام.

أحدث هذا مرة أخرى خيبة أمل كبيرة لدى العرب

كان لورنس وفيصل في مؤتمر السلام، وكانت السياسة التي وقفا بها هناك هي السياسة التي حظيت بمساندة الحكومة البريطانية خلال المفاوضات في ذلك الوقت، أي أنه ما دمنا أحراراً في الوفاء بوعودنا، فسنراعي بعض التقليص منها إرضاءً لمطالب الفرنسيين على منح الجزيرة العربية استقلالها تحت زعامة الملك حسين. لم يقبل الملك حسين - وهذا شرف له - هذا الوضع. كان يعرف أنه قد منح، بلا شروط تقريباً، مملكة يحكمها باسمه هي من الاتساع غاية ما يتمناه رجل متعقل، وأنه قد أعطي استقلالاً تاماً في أن يعمل فيها ما يريد. ولكنه لم يوقع الوثائق الضرورية لتثبيت نفسه في هذا الموقع؛ لأنها تتضمن تسليم فلسطين لليهود. كان ذلك هو عقدة الموقف الذي أدى إلى انفصام العلاقات بين الملك حسين والحكومة البريطانية، والذي قاد في النهاية إلى سقوطه وإلى موته في المنفى.

كان ذلك هو الوقت الذي برز فيه لورنس وفيصل إلى مقدمة الصورة، فقد كانت لديهما تصورات مختلفة تماماً عن تصورات الملك حسين. لم تكن لدى لورنس طموحات شخصية ولا شروط شخصية يطرحها، وإنما كان يشده إلى فيصل رباط صداقة حميمة، وفيصل يريد شيئاً واحداً؛ كان يريد عرشاً أو مملكة يحكمها باسمه، وقد جعل لورنس شغله الشاغل أن يحصل له على واحدة. ومن هنا أعطيت له سوريا بشرط أن يتصالح مع الفرنسيين، وأن يقوم بعمل ترتيباته الخاصة مع السلطات الفرنسية، وهو الأمر الذي استطاع أن ينجزه في باريس. ولكنه حين عاد إلى سوريا؛ لكي ينفذ الاتفاقية التي تم التوصل إليها في باريس، وجد أنه من المستحيل أن يعمل مع الفرنسيين، ووجدوا هم أنه من المستحيل تماماً أن يعملوا معه. وفي المحصلة رفض فيصل بعض الأوامر العسكرية من السلطات الفرنسية، فأرسلوا جيوشهم لفرض شروطهم، فغادر فيصل إلى المنفى. حيث ذهب إلى إيطاليا، وبقي فيها، وأرسل إلى لورنس يخبره

بأنه قد نكث وعده، وأن يتوقع منه أن ينجزه في اتجاه آخر. وهذا ما تم عمله في النهاية.

كانت الحكومة البريطانية قد جعلت من العراق مستعمرة التاج البريطاني في الواقع العملي إن لم يكن الاسم. وبعد أن قاموا بهذا اندلعت ثورة بلاد الرافدين ممولة إلى حد كبير من قبل فيصل وإخوانه، وربما من قبل الملك حسين نفسه أيضاً. وقد دعا هذا الحكومة البريطانية إلى إعادة النظر في الوضع، ووعدوا بمنح العراق ما تريده. ولكنهم وجدوا أن الشيء الوحيد الذي لا تريده العراق هو فيصل. غير أن لورنس، الذي صار مستشار الشؤون العربية في حكومة ونستون تشرشل، أغرى الأخير بمنح فيصل عرش العراق، وهناك ذهب، وبقي حتى قبل وفاته بسنتين.

قد تستغرب لماذا لم أذكر حتى الآن الدور الذي أداه ابن سعود في الجزيرة العربية، وهو دور، كما لا ينكر بعضنا، قد تم أداؤه بكفاءة، وأصبح منذ ذلك الحين عاملاً حاسماً في سياسات الجزيرة العربية. كان ابن سعود في تلك الأيام كتلة تكاد تكون غير معروفة تماماً بعد موت الكابتن شكسبير. كان لدى الحكومة البريطانية، كما قلت سابقاً، بعض المخاوف حول إرسال أي من ضباطها خشية القتل في الصحراء كما حدث لشكسبير. غير أنه بعد سنتين ونصف، ذهبت أنا إلى الجزيرة العربية، ووجدتها كما أجدها اليوم واحدة من أكثر بلاد العالم أمناً؛ لأنني نزلت ضيفاً على ملكها الذي كان (كما أدركت في حينه على الرغم من أنه كان أميراً ولم يكن ملكاً) مُقدراً له أن يؤدي دوراً حاسماً في سياسات الجزيرة العربية كلما سارت الأحداث قدماً. ولكنني حين عدت إلى بلدي وأخبرت الناس هناك برأيي لم يصدقني أحد.

وفي الوقت نفسه، فإن الملك حسيناً، بعد استقراره في العراق وتقززه تماماً من كل ما أسفرت عنه مفاوضات الحرب، بدا قلقًا مما

يجري في وسط جزيرة العرب، حيث كان ابن سعود مستعداً لتبادل القتال معه. وصل الأمر إلى مواجهة في عام ١٩١٩م (١٣٣٧هـ)، مما دعا الحكومة البريطانية إلى مناقشة ما يمكن عمله. وأشير عليهم بأن ابن سعود كتلة مهملة في جزيرة العرب، وأن الملك حسيناً لديه جيوش مدربة وأموال كثيرة وكميات كبيرة من الذخيرة والعتاد، أي أنه في الواقع يملك كل ما هو ضروري ليمنحه النصر في حال نشوب النزاع. وفي الوقت ذاته شعرت الحكومة البريطانية بشيء من الخجل تجاه الطريقة التي عاملوا بها الملك حسيناً حين قلصوا وعودهم الإقليمية له، فأعطوا ممثله مباركتهم التامة، وكتبوا لابن سعود يخبرونه بأن عليه ألا يقاوم هذا التعدي إلى منطقته؛ لأنه يحظى بموافقة حكومة التاج البريطاني. كان ذلك هو الوضع في مارس سنة ١٩١٩م (جمادى الآخرة ١٣٣٧هـ). حرك الملك حسين قواته لاحتلال جزء من المنطقة المعنية، ولكن جيوشه التي كانت بقيادة ابنه الثاني الأمير عبدالله قد أبيدت في ليلة واحدة. وحين ذلك قررت الحكومة البريطانية، بعد قليل من التلكؤ، أن تدعو إلى مؤتمر، وكانت تلك محاولة محسوبة للتسوية بين الحاكمين. وعقد المؤتمر في الكويت في سنة ١٩٢٣م (١٣٤٢هـ)، ودعوا جميع الأطراف المعنية إلى إرسال ممثليهم. كانت الفكرة ممتازة على أساس أن يهيئ البريطانيون أنفسهم لوضع يمكنون فيه العرب من حل القضية فيما بينهم أو التقاتل على نحو ما دون تدخل. ولكن الحكومة البريطانية لم تتمكن في اللحظة الأخيرة من القيام بهذا، ووجهوا رئيس المؤتمر إلى توضيح النتائج التي توقعوا منه أن يحققها من لقائه بجميع الممثلين المعنيين، وانتهت محاولاته تحقيق تلك النتيجة إلى إخفاق المؤتمر في الوصول إلى أي وفاق على الإطلاق.

وحين قررت الحكومة البريطانية أن تقود المؤتمر بالقوة إلى قرار محدد، لم تحسب مرة أخرى حساباً لأحد الأطراف، وهو ابن سعود.

وحينها ما زلت أنا في خدمة الحكومة البريطانية في شرق الأردن، وكان من واجبي أن أكون مطلعاً على التوجيهات التي كانت قد أعطيت لرئيس المؤتمر. وحيث سمعت بها استولى عليّ الرعب إلى درجة أنني كتبت وشرحت رأيي، قلت بوضوح تام: إنه ما لم يتحقق فهم ذاتي بين الأطراف أنفسهم، بل كان مفروضاً عليهم، فإن هذا لن يكون مقبولاً من قبل ابن سعود؛ وإنه إذا أخفق المؤتمر في الوصول إلى حل متفق عليه، فإن ابن سعود، في رأيي، سيسير إلى الحجاز، وسيطرد الملك حسيناً من ذلك الإقليم. ولكن الحكومة البريطانية كانت حينذاك أقل ميلاً للإصغاء إليّ مما كانت عليه في المناسبة السابقة، وتمسكوا بموقفهم، وكانت النتيجة إخفاق المؤتمر في الوصول إلى أي اتفاقية وإلغاءه في عام ١٩٢٤م (١٣٤٢هـ). وفي سبتمبر عام ١٩٢٤م (صفر ١٣٤٢هـ)، بدأ ابن سعود حملته على الطائف، وفي الشهر التالي دخل مكة، وفي ظرف سنة صار ملك الحجاز.

وباسترداد الحجاز كان ابن سعود قد أتم التوسع الذي عقد العزم عليه منذ أن استرد وهو يافع عرش أجداده بدخوله بستة من الرجال عاصمته القديمة التي كانت حينئذ في يد أعدائه(٢). منذ ذلك اليوم كان قدره إما أن يصبح حاكماً لمملكة عظيمة أو أن يموت في سبيلها، وبفتح الحجاز كان قد أتم التفافه على الأقاليم التي هي واقعة في مدار ملك عربي، لقد كان أكثر حكمة من أن يتحدى سلطة بريطانيا العظمى أو فرنسا على الأقاليم التي كانت تحت انتدابهما. لقد عقد العزم على أن يتمسك ببقية الجزيرة العربية، وأن يجعل منها دولة عظيمة.

---

(٢) كان عدد الذي رافقوا الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض ثلاثة وستين رجلاً، وربما يقصد فيلبي هنا عدد الرجال الذين دخلوا مع الملك عبدالعزيز الرياض في الخطوة الأولى بعد تقسيم رجاله إلى ثلاثة أقسام. ( المعلق ).

كان ذلك هو الوضع حين وجد ابن سعود نفسه حاكماً على الإقليم كافة الذي يحكمه اليوم. وقبل أن يتم له ذلك، كان قد تلقى مواجهات يسيرة هنا وهناك إلى أن تمكنت فتوحاته العظيمة من الالتفاف عليها، مع استثناء وحيد كان إلى اليوم محل جدل بين ابن سعود والحكومة البريطانية.

أما وقد بينت كيف أصبح ابن سعود حاكماً لهذه البلاد العظيمة، فإنني الآن أود أن أوضح كيف مضى في حكمها. كان في الأيام الأولى ينظر إليه، كما كان في الواقع، على أساس أنه شيخ بدوي ذو ميزة عظيمة، ولكن أيضاً على أساس أنه لا خبرة لديه بالعالم الخارجي، وأنه لهذا قد لا يكون قادراً على تكييف تخوف العرب من متطلبات العالم الحديث، وبانتصاره في الحجاز أصبح ابن سعود فجأة على صلة بالحضارة الحديثة لأول مرة. لم يخرج من جزيرة العرب قبل هذا إلا مرة واحدة، حيث زار السير بيرسي كوكس في الأيام الأولى من الحرب، لم يكن من قبل على اتصال بأي قوة عظمى عدا بريطانيا، وهو الآن يجد نفسه متربعاً على عرش مدينة شاطئية صغيرة هي جدة، حيث يوجد عدد من القنصليات التي تمثل بعض القوى العظمى. كان الاعتقاد السائد حين دخل السعوديون الحجاز أن ذلك يعني وضع نهاية للحج إلى مكة، أو أن القيام به سيثبط إلى حد كبير، وأن عقبات سوف توضع على طريق التجارة. إلا أن العكس تماماً هو الذي حدث منذ البداية. لقد كان ابن سعود رجلاً ذا رؤية واسعة، ومع أنه لم يكن على اتصال بالعالم الحديث، إلاّ أنه أمضى كثيراً من وقته في الدراسة، فكان يقرأ الصحف من كل أنحاء العالم. ولهذا كانت لديه دراية عامة بالعالم قبل أن يأتي إلى جدة، وكان أول عمل قام به هناك ذا دلالة. كان الملك حسين يعتقد أن السيارات وسائل مناسبة لتنقل الملوك وأقاربهم من مكان إلى آخر، ولكنه كان يعتقد أنه لا يليق بعموم الحجاج أن يسافروا بمثل هذه الوسيلة

المترفة، في حين أن أول عمل قام به ابن سعود هو رفع القيود عن كل من يرغب في استيراد السيارات لوضعها في خدمة الحجاج المسافرين من مكة إلى المدينة. وكان لهذا الإجراء أثر بالغ في انفتاح البلاد، ويجب أن يعود الفضل في هذا لابن سعود. لا أحد من الحجاج يستطيع بعد الآن أن يشكو من نقص التسهيلات المعقولة في السفر إلى الأماكن المقدسة.

كانت السيارات مثالاً واحداً على المستجدات الاقتصادية التي غيرت حياة العرب إلى حد كبير، وهي مؤشر كافٍ في الدلالة على توجه ابن سعود. تبدو وسائل المواصلات ذات أهميةٍ بالغة لأي بلد صحراوي مترام مثل الجزيرة العربية. ولقد كان اللاسلكي هو الموضوع الذي أعطاه ابن سعود جل اهتمامه، وكانت النتيجة هي أن المدن الرئيسة في بلاده قد أصبحت مرتبطة بشبكة من محطات اللاسلكي التي أتاحت له الضرب في أي اتجاه حين تدعو الضرورة. كان اللاسلكي ينقل إليه الأخبار قبل أن يتناقلها البدو بمدة طويلة، وبهذا يستطيع أن يصل إلى أي مكان فيه قلاقل قبل أن يصل إليه البدو. كان ذلك إجراء احتياطياً حكيماً، مع أنه لم يكن ضرورياً في ظل الحكم الحالي؛ لأن شخصية ابن سعود كانت عظيمة الأثر في حفظ الأمن. مرة أو مرتين فقط كان عليه أن يضرب بشدة، ولكنه ضرب بشدة بالغة أحبطت كل من كانت تسول له نفسه أن يتحدى سلطته. وفيما عدا ذلك كان يحاول أن يمزج الشدة في الحكم باللين، وهي سمة في الحاكم يحترمها البدو كثيراً.

سأتناول الآن الوضع السياسي. كانت بريطانيا العظمى تهتم بالوضع السياسي في جزيرة العرب أكثر من اهتمامها به في أي أمة أخرى. للفرنسيين والإيطاليين مصالح ثانوية هناك. ولكنها لا يمكن أن تقارن بالمصلحة الجوهرية التي لبريطانيا متى ما اتصلت بأقاليم ابن سعود.

قبل سبع أو ثماني سنوات لم يكن لبريطانيا ولا لأي بلد آخر مصلحة داخلية في جزيرة العرب. ولكن هذا ليس هو الوضع الآن. وفي السنوات القليلة الماضية برز عاملان لهما صلة بجزيرة العرب التي صارت لها أهمية قصوى بالنسبة إلينا. سأشير إلى هذين العاملين باختصار على النحو الآتي: الجو والنفط. هذان العاملان جعلا من الضروري جداً أن تفهم الحكومة البريطانية مزاج العرب، وأن توجه سياستها بحيث لا تثير في تلك البلاد أي نزاع قد يصعب ضبطه. أنا لا أفترض إطلاقاً أن الجزيرة العربية، كوحدة عسكرية، ند لبريطانيا العظمى، فهذا افتراض سخيف، ولكن العداء مع الجزيرة العربية، الذي كان سيتطلب قدراً كبيراً من النشاط العسكري من جانب بريطانيا، سيكون مزعجاً للغاية، ولهذا يبقى على الحكومة البريطانية أن توجه سياستها بحيث لا تستثير تلك العداوة، وألا تسمح لها بالتفاقم في حال ظهورها.

سأتناول مسألة الجو أولاً. بعد الحرب، أعلنت الحكومة البريطانية وحكومات الحلفاء - وهي مفعمة بالنوايا الحسنة - رغبتها في أن ترى كل الشعوب تعيش في استقلال وسلام ووفاق مع بعضها. وأحد تلك الشعوب كانت بلاد فارس التي أخرجت في تلك الآونة رجلاً ذا عبقرية وشخصية وقوة عظيمة، كان قادراً على أن يلزم البريطانيين بكلمتهم، وأن يفرض سيادته على ما كان قد تلاشى تقريباً من الإمبراطورية الفارسية التي كانت عظيمة ذات مرة. كانت بلاد فارس قد تبنت منذ البداية موقفاً يشبه إلى حد كبير الموقف الذي كان ابن سعود تبناه دوماً في بلاده. لم تقبل فارس أي اختراق أو تدخل أوروبي إلا بشروطها هي، وكانت واحدة من القضايا التي سببت قدراً كبيراً من الاضطراب بين فارس وبريطانيا العظمى هي قضية طريق الخطوط البريطانية الإمبريالية إلى الشرق. سار ذلك الخط على إقليم فارسي يجري مئات الأميال على أطراف الخليج العربي،

واستخدمته بريطانيا كما يحلو لها طريقا جويا خلال السنوات التي جاءت قبل أن يفرض الشاه البهلوي نفسه. ولقد فرض نفسه بطريقة لم تبق لنا قدماً نقف عليها في الخصومة، ولكن كان علينا مع هذا أن نعترف أن بلاد فارس كانت داخل إطار حقوقها في أن تقاوم استخدام الخطوط الإمبريالية لشاطئها الجنوبي إلا بالشروط التي تمليها هي. قُدمت الشروط، ولكنها رفضت من قبل الخطوط الإمبريالية، لأنها لم تكن شروطاً مريحة. ولهذا كان لابد من إيجاد خط بديل، فتم اختيار الشاطئ العربي على الخليج العربي. الجزء الأعظم من هذا الشاطئ يشكل إقليماً مستقلاً تحت حكم ابن سعود، باستثناء الكويت والبحرين والإمارات المتصالحة وعمان، وهذه مقاطعات مستقلة تحت الحماية البريطانية. ولهذا كان باستطاعة الخطوط الإمبريالية أن تقيم سلسلة من المحطات في الكويت والبحرين والشارقة دون أن تتخطى إلى إقليم ابن سعود المستقل، أو إلى أي إقليم يمكن أن يكون محل، نزاع مع أن الأرض الواقعة بين هذه المحطات هي لابن سعود.

ولهذا كان من الضروري جداً للحكومة البريطانية أن تؤمن بعض الحلول لاستخدام هذه الأراضي المعترضة في حالة الضرورة. ويمكن للمرء أن يتصور أن طائرة تطير مئات الأميال فوق الأراضي الواقعة بين هذه المحطات المرخص لها باستخدامها قد تتعرض لحالة طوارئ وترغب في الهبوط على شاطئ الجزيرة العربية. إذا فعلت هذا دون إذن، فإنها قد تقع في أيدي العرب المعادين الذين قد يعاملونها بقسوة، وليس لأحد أن يلومهم إذا فعلوا هذا، لأنهم يعرفون أنه ليس من المسموح به لأي أجنبي أن يهبط على أرض ابن سعود دون إذنه.

ولكنني أعتقد أنه ينبغي ألا تكون هناك صعوبة، فإذا كنا منطقيين في سياستنا العامة مع ابن سعود، فإننا نستطيع أن نحصل على إذن الهبوط في أماكن محددة ومناسبة على طول شاطئه، ولكن علينا أن

نتحقق أن هذا الترتيب يجب أن يتم على الأسس نفسها التي يمكن أن نتفاوض بها مع إيطاليا أو فرنسا للسماح لنا بالطيران فوق أراضيهم.

المصلحة الثانية التي لنا في جزيرة العرب هي النفط، إن إمكانية وجود النفط في الجزيرة العربية كانت مسألة قد تم النظر فيها مرات عدة خلال السنوات الاثنتي عشرة الماضية. منذ سنة ١٩٢٢م أو ١٩٢٣م (١٣٤٠- ١٣٤١هـ)(٣) كان الامتياز قد أعطي في الواقع من قبل ابن سعود لمجموعة بريطانية للتنقيب في إقليم الأحساء. كان ذلك الامتياز قد منح بشروط معقولة جداً من وجهة نظر الشركة صاحبة الامتياز. والمؤسف أن تلك الشركة لم تكن مجهزة بشكل جيد للتنقيب عن النفط في أي بلد، وبعد سنة أو سنتين سقط ذلك الحق. وكانت الشركة نفسها قد حصلت على امتياز مماثل في جزيرة البحرين، حيث نقبت عن النفط، وحيث لم تجد شيئاً، نقلت حقها في التنقيب إلى شركة أمريكية، التي بدورها تخلت عن حقها ومنحته بالشروط العامة لشركة نفط العراق، الشركة الحالية، وهي شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا، التي مضت في اكتشاف النفط.

ولقد غير اكتشاف النفط في البحرين الأمور تماماً في جزيرة العرب. لم تكن البحرين سوى جزء صغير جداً من جزيرة العرب، أصبح منفصلاً. لقد استدار البحر من حوله على نحو ما ليحوله إلى جزيرة. ولهذا كان الافتراض أنه إذا وجد النفط في البحرين، فإن الأجزاء المجاورة له من جزيرة العرب تحتويه أيضاً. ومنذ سنتين جاءت شركة نفط كاليفورنيا إلى الميدان لتحاول الحصول على الامتياز. وفي الوقت نفسه، فإن شركة نفط العراق التي نعدها

---

(٣) أعطي أول امتياز للتنقيب عن الزيت لصالح الشركة الشرقية العامة المتحدة للتاجر النيوزلندي فرانك هولمز في عام ١٩٢٣م (١٣٤٢هـ)، وألغي الامتياز في عام ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ) بسبب عدم تمكن الشركة من تحقيق أي نتائج (المعلق).

مجموعة بريطانية بكل الاعتبارات، ما دامت تحظى بمباركة ودعم الحكومة البريطانية، جاءت لتتحدى أحقية شركة نفط كاليفورنيا، وكانت هناك شركة صغيرة أخرى في الميدان في الوقت نفسه. ولكن الامتياز منح للشركة الأمريكية؛ لأنها ببساطة قدمت أفضل الشروط المالية. لم يكن ذلك أمراً ساراً بالنسبة للحكومة البريطانية التي سارعت إلى عقد ترتيبات معاهدة - من طرف واحد في الواقع - مع كل الدول التي لها حدود على الشاطئ العربي، وكان من أثرها ألا تمنح تلك الحكومات أي امتيازات لأي طرف إلا بموافقة الحكومة البريطانية. أي أنها حجزت بالنيابة عن الشركات البريطانية، وبغض النظر عن المصالح المحلية المعنية، كل النفط الموجود في جزيرة العرب عدا ذلك الموجود في الأجزاء التي يحكمها ابن سعود.

ذلك هو الوضع الآن، وهو وضع يؤدي إلى صعوبات خطيرة جداً. إن حدود هذه الأقاليم، باستثناء الكويت والبحرين، غير معروفة، لا أحد يعرف أين هي، وحتى الآن لم يكن مهماً معرفة حدودها؛ لأن الولايات نفسها تتشكل من مدن صغيرة على شاطئ البحر تمارس عملاً وحيداً هو تجارة غطس اللؤلؤ. وخلف هذه المدن قفار مخيفة لا يمكن الحصول فيها على شيء إلى أن برزت فكرة أنها تخفي مخزوناً عظيماً من النفط. ولهذا واجهت الحكومة البريطانية مشكلة الوصول إلى اتفاق مع ابن سعود حول ترسيم حدود دولته على المساحة العظيمة من صحراء الجزيرة التي تسير محاذية لحدود هذه القرى الصغيرة على الخليج العربي. وبالطبع لم يكن ابن سعود على استعداد لأن يعد هذه التخوم بعيدة كثيراً عن شواطئه. كانت هذه القرى تتمتع بتجارة رابحة من الرقيق وتسريب البارود، ومثل هذه الأشياء، حتى وضعت الحكومة البريطانية حداً لهذا كله، ولهذا لم يبق شيء الآن سوى اللؤلؤ الذي تضاءلت قيمته، إذ تخلت النساء عن لبسه. وكان على هذه القرى أن تجد وسيلة أخرى للعيش، فإذا كانت

هناك أراض منتجة للنفط يمكنهم الادعاء بمنطقية أنها لهم، فإنهم سيبذلون جهدهم في الحصول عليها.

كانت الأحساء سنة ١٩١٣م (١٣٣١هـ) تحت نفوذ الإمبراطورية التركية. وكان الباقي من جزيرة العرب مستقلاً. لم يكن إقليم ابن سعود يوماً ما تحت السيادة التركية، على الرغم من أن السلطان التركي كان يعده على نحو ما جزءاً من إمبراطوريته. ولم يكن أجداد ابن سعود أبداً على حلف مع الأتراك. بل كانوا أعداءهم التقليديين منذ أن فتح الأتراك بلادهم وهجروها طول مئة سنة. غير أنه في سنة ١٩١٣م (١٣٣١هـ)، كان الإقليم المتمركز حول الهفوف في حوزة الأتراك، وذلك حين انحدر ابن سعود، بعد أن ثبت قدمه على نحو ما في مملكة الصحراء، إلى مدينة (الهفوف)، في منتصف الليل، وفي الصباح التالي كان الجيش التركي في طريقه إلى شاطئ البحر، حيث أبحر للمرة الأخيرة. هكذا في سنة ١٩١٣م (١٣٣١هـ) أصبح ابن سعود سيداً على آخر إقليم تركي في وسط وشرق الجزيرة. وبعد أشهر قليلة مضت الحكومة البريطانية لتدخل في مفاوضات في لندن مع السفير التركي، وكانت نتيجة هذه المفاوضات اتفاقية لتعيين الحدود بين مجال النفوذ البريطاني والإقليم التركي. وكان الجانب البريطاني يشمل جزءاً من الإقليم الذي خسره الأتراك بصالح العرب في الأشهر القليلة الماضية.

وفي السنة التالية بعد ذلك، ١٩١٤م (١٣٣٢هـ)، تم الدخول في مفاوضات مع السفير التركي في لندن، الذي وافق على التنازل عن خط حدودي آخر استمراراً لما تم الاتفاق عليه في السنة الماضية، بحيث تسقط كل تلك المساحة الصحراوية الفسيحة في مجال النفوذ البريطاني، بصفتها هبة من السفير التركي في لندن، ولكن الحكومة أخفت تلك الوثائق التي يفترض أن تكون وثائق عامة مفتوحة للفحص، حتى يأتي الوقت الذي يناسب مصلحتها في أن تخرجها.

وهكذا، في الصيف الماضي فقط أظهرت الحكومة البريطانية لعلم ابن سعود هاتين الوثيقتين اللتين شكلتا الاتفاقات البريطانية التركية في عامي ١٩١٣م و١٩١٤م (١٣٣١-١٣٣٢هـ)، وإحداهما بقيت غير مصدقة، وظلت كذلك إلى زمن اندلاع الحرب. تلك كانت أول مرة يراهما ابن سعود مع أنه قد كان من المفروض أن يراهما قبل عشرين سنة بصفتهما وثائق عامة. لقد أُظهرت له لكي تكون أساسًا لاتفاقية تبرم بين البريطانيين والحكومات العربية فيما يتعلق بمجال النفوذ البريطاني. كان ابن سعود غاضباً جداً، وقد أخبر الوزير البريطاني في ذلك الوقت بما كان يعتقده حول هذه العروض التي يسرني أن أقول: إنها قد سحبت لكل الاعتبارات العملية. لم تكن تلك الوثائق مناسبة لكي تكون أساساً لمفاوضات بين دولتين، هذا على الرغم من أن الحكومة البريطانية تريد أن تحصل على أكبر فائدة ممكنة من أي نفط يوجد هناك.

كانت هذه التطورات الحديثة في مجالي الجو والنفط قد جعلت الوضع دقيقاً نوعاً ما بين المملكة العربية السعودية وبريطانيا العظمى، وينبغي الآن أن تؤخذ هذه الأمور في الاهتمام. كانت معاهدة الصداقة بين السعودية وبريطانيا، التي أجراها السير غلبرت كلايتون عام ١٩٢٧م (١٣٤٥هـ)، تستمر لمدة سبع سنوات، وانتهت في سبتمبر سنة ١٩٣٤م (جمادى الأولى ١٣٥٣هـ)، ولكنها أبقيت حية لمدة ستة أشهر، وتكون عرضة للانتهاء بعد ستة أشهر أخرى بطلب أي من الطرفين.

كان على الحكومة البريطانية أن تظهر روحا من المرونة تجاه تطلعات العرب في مسألة كانت قد تقررت باتفاقية بين الحكومة البريطانية والملك حسين منذ عام ١٩١٥م (١٣٣٣هـ). في عام ١٩١٥م (١٣٣٣هـ)، كانت كل هذه المنطقة باستثناء محمية عدن، قد جرى الاتفاق عليها بصفتها تشكل جزءاً من الإقليم الذي ضمنت بريطانيا

أن تعترف باستقلاله التام للعرب. إذا كنا قد وافقنا أن نعطي الملك حسيناً شيئاً، فليس هناك ما يمنع أن نعطيه الآن لابن سعود، وليس هناك ما يدعونا إلى أن نحرم ابن سعود من إقليم يحتوي على النفط. فكلما أصبح ثرياً كان ذلك أفضل لنا.

ما الذي سيحدث في جزيرة العرب لو دخلت بريطانيا أو أحد حلفائها، أيا كانوا، في مشاكل مع قوة أخرى؟ إن الوضع دقيق جداً، ومن النقاط ذات العلاقة هنا الحركة الصهيونية. ونقطة أخرى بالطبع هي الإمبراطورية القائمة على الطيران والنفط، وهي نقطة قد تكون وقد لا تكون بداية لمشاكل عربية مع الإمبراطورية البريطانية. والنقطة الثالثة هي وضع الفرنسيين في سوريا. ونقطة رابعة هي ضجيج زعماء الصهيونية ومطالبتهم ليس فقط في الاحتفاظ بما كانوا قد حصلوا عليه، بل بالتوسع والامتداد على شرق الأردن أيضاً. لنفرض - على سبيل المثال - أن ألمانيا قد أعلنت الحرب على بريطانيا، وأن فرنسا وقفت بالحلف القديم معنا. ألا يمكن أن يرمي العرب بكل ثقلهم في الكفة لصالح ألمانيا؟ لقد جلبت ألمانيا العار على نفسها بمعاملتها لليهود، غير أنه لا يمكنك أن تتوقع من العرب، الذين يرون اليهود مغتصبين لبلادهم، أن يعترضوا على ما فعلته ألمانيا بيهودها. وتشكل فرنسا مشكلة أخرى؛ لأنها تعد مغتصبة لسوريا تماما، كما أن اليهود مغتصبون لفلسطين. كانت كل مشاعر الجزيرة العربية أساساً ضد فرنسا فيما يتعلق بسوريا. سيتجه العرب إذاً إلى أن يرموا بثقلهم في الكفة مع ألمانيا ضد بريطانيا العظمى وفرنسا. ومهما يكن وزن العرب من الناحية العسكرية، أعتقد أنه من الأجدر بنا أن نتحاشى تلك المشكلة الصغيرة التي قد تكون أكبر مما بوسعنا أن نتحمله.

## ملخص النقاش

قال السيد إسرائيل كوهن: إن كلام فيلبي تضمن أنه لم يكن هناك شك في أن الحكومة البريطانية كانت قد وعدت بالاستقلال التام لجميع الأقطار العربية، مع أنه كان يعلم أن تلك المسألة محل جدل، وكان عليه أن يستخدم عبارة مقنعة تماماً. تصريحات كثيرة كانت الحكومة البريطانية قد أطلقتها في وثائق عدة وفي الصحيفة البيضاء لعام ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ)، وكان من أثرها أن استثنت فلسطين من المساحة التي كان قد وعد باستقلالها التام تحت شروط معينة. لو كان السيد فيلبي لديه دليل قاطع على عباراته، وإنه ( أي السيد كوهن) يتصور أن فيلبي سيظهره بحروف كبيرة على الجدار لكل من يرى.

ويتضمن كلام السيد فيلبي أيضاً أنه كان هناك اتفاقية محددة بين الحكومة البريطانية والملك حسين مؤداها أن الاستقلال سيمنح لجميع الأقطار العربية، غير أن مثل هذه الاتفاقية لم تنشر إطلاقاً. وإضافة إلى هذا، فإن المراسلات حول المسألة التي تبودلت بين السيد هنري مكماهون والملك حسين لم تستكمل إطلاقاً. وقد أشار الريحاني في كتابه على شواطئ الجزيرة العربية إلى عدد من المقالات حول الاتفاقية المزعومة، ولكن كل ما تضمنته تلك المقالات إنما هو عبارة عن مطالب معينة للملك حسين نفسه حول المساحة التي يريد لها الاستقلال. ولم يكن باستطاعة أمين الريحاني والسيد فيلبي أن يبينا أن هناك اتفاقية قد أجريت بين الحكومة البريطانية والملك حسين موقعة من الممثل المفوض من الحكومة البريطانية.

إذا لم تعقد أي اتفاقية، فإنه يستحيل أن نعتقد أن وعداً بالاستقلال كان قد أعطي للملك حسين فيما يتعلق بجميع الأقطار العربية. لم تستثن فلسطين وحدها وحسب، بل إن هناك تحفظين آخرين هما:

١ - أن الاستقلال ينبغي أن يمنح لجميع الأقطار العربية التي حارب سكانها لصالح الحلفاء، وهذا شرط لم يتحقق في حالة فلسطين.

٢ - أن الحكومة البريطانية لم يكن بوسعها أن تمنح هذا الوعد الملزم على المساحات التي لم يكن لها الحرية في الوعد بها، وهذه إشارة إلى أن فرنسا كان لها اهتمام أيضاً.

ثم ماذا كان موقف فيصل فيما يتعلق بالاتفاقية المزعومة؟ لقد كان حاضراً في مؤتمر باريس للسلام في ربيع سنة ١٩١٩م (١٣٣٧هـ) بصفته ممثلاً لوالده الملك حسين، ولكنه لم يطلب أبداً أن يمنح الاستقلال للعرب في فلسطين، ولم يقل: إنه قد وعد به. بل على العكس، لقد كتب رسالة إلى عضو من الوفد الصهيوني في باريس، وقال: إنه يرحب بعودة اليهود إلى فلسطين. فهل نطق الملك حسين بكلمة واحدة يتحدى بها عبارات فيصل في مؤتمر السلام عام ١٩١٩م (١٣٣٧هـ)؟ في ربيع سنة ١٩٢١م (١٣٣٩هـ) فقط قال فيصل لأول مرة للسيد ونستون تشرشل: إن الوعد الممنوح يتضمن فلسطين أيضاً. ولقد استطاع تشرشل أن يثبت لفيصل أنه كان مخطئاً.

ومرة أخرى، كان السيد فيلبي مخطئاً في القول: إن فلسطين كانت قد أعطيت لليهود. كانت الحكومة البريطانية تحكم فلسطين خلال فترة المندوب السامي، ولم يكن لليهود أي تمثيل في حكومة فلسطين ولا نفوذ في سياستها. ومنذ بداية الإدارة البريطانية لفلسطين، واجه اليهود صعوبة قصوى في ضمان استقبال أكبر عدد من اليهود يرغبون في إدخاله إلى البلاد. وهناك أيضاً المسألة المهمة المتعلقة بالمجلس التنفيذي الذي تريد حكومة فلسطين فرضه على البلاد، بما يتعارض مع رغبات السلطات المفوضة للشعب اليهودي.

سأل الكولونيل راينرتز هاغن عن كيفية حصول ابن سعود على أمواله. كان يبني الطرق، ويستورد كميات كبيرة من المواد، ويقيم

محطات لاسلكي واسعة، ويستضيف ممثلي الدول، كل هذا والبلاد فقيرة جداً فيما هو واضح. لقد تصور الكولونيل أن عوائد الحج لم تكن كبيرة جداً، ويريد أن يعرف ما هي ميزانية ابن سعود، وكيف حصل على أمواله؟

**أسئلة:**

هل كان تأثير إيطاليا محسوساً بشكل متزايد في جزيرة العرب، كما يريدنا الإيطاليون أن نعتقد؟ قيل إن التأثير قد جرى تكريسه لغير مصلحة بريطانيا العظمى.

هل قصد السيد فيلبي القول : إن السياسة الخارجية للحاكم الحالي في جزيرة العرب قبلت أو لم تقبل الوضع القائم؟ ربما كان هدفه في يوم ما أن يدخل في دولته شرق الأردن وفلسطين؟

كيف كانت نظرة السيد فيلبي لخط السياسة الحالي الذي اتخذته إيطاليا فيما يتعلق بالحبشة، وإلى أي مدى أثر في المصالح السعودية والبريطانية؟

ما التحسينات الاقتصادية التي نفذت في البلاد السعودية عدا التزايد في عدد السيارات المستعملة هناك؟ ما الذي تم عمله فيما يتعلق بالصحة العامة، والتعليم، والخدمات الصحية، والطرق تحت الحكومة الحالية؟

**وفي الإجابة عن هذه الأسئلة :**

قال السيد جون فيلبي: إنه كان مندهشاً أن يتوقع منه السيد كوهن أن يأتي بخارطة حائطية ونسخة مدعومة بالصور الفوتوغرافية لرسائل مكماهون الشهيرة. لقد فوض مكتب الخارجية البريطانية السيد هنري مكماهون أن يخبر شريف مكة أن البريطانيين قد قبلوا الوعود المشار إليها في رسالته، ولكن (فيلبي) قد منعه الحياء من الإشارة إلى العمل الأوفى في هذا الموضوع، لأن

هذا العمل كتابه هو نفسه. وهو يحيل السيد كوهن إلى كتابه هذا الذي نشرته (Benn Earnest) في "Modern World Series World Series"، والذي كان يتحمل مسؤوليته كاملة، لأنه يعتقد أن كل عبارة فيه صحيحة، والذي بسطت فيه كامل الشروط التي وافقت عليها الحكومة البريطانية. إنه يتفق على أنه لم تكن هناك اتفاقية رسمية موقعة، ولكن الحكومة البريطانية أعطت كلمتها بطريقة رسمية.

إن ما قاله السيد كوهن عن فيصل كان صحيحاً. لم تكن أهداف الملك حسين والأمير فيصل متفقة، كان صحيحاً أن فيصلاً كتب موافقاً على أهداف الصهيونية، ومنح عرش سوريا على أساس تلك الرسالة. وكان السبب في أنه قال عكس ذلك للسيد تشرشل عام ١٩١٩م (١٣٣٧هـ) أنه كان في ذلك الوقت قد فقد عرشه، ونظراً لأن أحداً لم يقدم له عرشاً آخر، مضى للحكومة البريطانية وهدد بالتراجع عما كان قد قاله سنة ١٩١٩م (١٣٣٧هـ)، وأنه سيعلن أن بريطانيا لم تف بوعدها، ولهذا قدموا له عرشاً آخر هو عرش العراق. ولكن العرب عموماً يعدونه خائناً لقضيته، وخصوصاً في أعقاب النتائج التي أسفرت عنها اتفاقية سنة ١٩١٩م (١٣٣٧هـ).

المصدر الوحيد للدخل الذي يملكه ابن سعود كان من الحج. ذلك الدخل وفر المال المطلوب لتمويل المستوردات الضرورية. قد يبلغ دخل الحج في سنة طيبة مليونين ونصف مليون جنيه إسترليني، ولكنه في سنة رديئة قد لا يزيد على ثلاثمئة أو أربعمئة ألف جنيه. ولكن ابن سعود لم يكن في حاجة إلى مال لبناء الطرق. لقد قام بتجربة واحدة وأنفق ثلاثين ألف جنيه لرصف ثلاثين ميلاً من الطريق المعمول من الحصباء، ولكنه قرر بعدها أن الصحراء أفضل طريقاً مما يمكن أن يعمله هو. إن الصحراء هي أفضل طريق في العالم. كان عليه أن يدفع رواتب لموظفيه. ولكن تلك الرواتب في السنوات العجاف قد تقع

في بند المتأخرات. وفيما يتعلق بمحطات اللاسلكي الباهظة التكاليف التي ذكرها الكولونيل راينرتز هاغن، فقد كان للسيد فيلبي شرف التفاوض على إمداد الجزيرة العربية بتلك المحطات، وهي إلى الآن لم تدفع.

لم يكن من الصعب جداً إدارة بلاد مثل جزيرة العرب من غير أن تكون هناك أموال كافية لإدارتها. كانت البلاد بالتأكيد مدينة قليلاً، وكان دينها الوطني حوالي ثلاثمئة ألف جنيه إسترليني، غير أنه كان يقدر أن سنة حج واحدة جيدة كفيلة بتعديل الوضع. كانت البلاد تقوم على التدبير في النفقة. ولقد عاش الناس على غلات الأرض، وريع الحج وفر كل ما هو ضروري للمستوردات.

لم تكن هناك علاقة محورية بين سياسة إيطاليا الحالية في الحبشة وسياسات الجزيرة العربية. كانت الحبشة على الجانب الآخر من البحر الأحمر المقابل لجزيرة العرب، وفيما عدا ذلك لم تكن هناك نقطة لقاء محتملة. كانت الحبشة بلاداً مسيحية، أما جزيرة العرب فلم تكن بلداً مسلماً فحسب، بل إسلامية متمسكة وفيما عدا رغبة البلدين في كسر القوى الإمبريالية، لم يكن ابن سعود ليهتم إذا كانت إيطاليا ستبلغ الحبشة أم لا.

وفيما يتعلق بسياسة الجزيرة العربية تجاه الأردن وفلسطين، كانت هناك اتفاقية بين الأردن والعراق والسعودية وضعت الحدود التي هي حدود جرى التفاوض عليها بحرية. ولهذا افترض فيلبي أن السؤال يشير إلى المساحة التي ينتهي عندها خط الاتفاقية المتفق عليه. كان الوضع الحالي أن الحكومة البريطانية تدير تلك المنطقة كأمر واقع يزعم ابن سعود أنه حقه المشروع، وإلى أن يتم حل المسألة، قبل ابن سعود الأمر الواقع؛ لأنه كان يعرف أنه لم يكن قوياً بما يكفي لفرض أي حل آخر.

لم يكن فيلبي يريد الإيحاء بأنه كان هناك توتر كبير بين ابن سعود وبريطانيا العظمى. لقد كان ابن سعود واضحاً جداً فيما يتعلق بعلاقاته ببريطانيا العظمى. لم يكن يحب البريطانيين، فلم يكونوا من دمه ولا من دينه، ولكن قوة الظروف جعلت بريطانيا جاره الأوروبي الوحيد في كل جانب، وكانت من القوة بحيث لا يمكن له معارضتها بنجاح، ولهذا مارس سياسته بحيث لا يكسب عداوتها ولا يمنحها سبباً لغزو بلاده. كان ذلك هو موقفه، ولكي أكون صريحاً تماماً، لم تكن هناك أي بلاد في العالم يمكنه أن يكون معها على وفاق أكثر من بريطانيا العظمى. غير أن سياسة بريطانيا في الاستيلاء على الأرض أعطت سبباً للتفكير في أن بريطانيا العظمى لم تكن تشعر بالصداقة نحو ابن سعود. ولكن نجاح ابن سعود الحقيقي والتام قد يكمن في أنه لا يتعارض مع الخط الحالي للسياسة البريطانية.